سورة الحجرات

obeikandl.com

﴿ سورة الحجرات ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ ﴾

أى لا تقدموا ما هو لغير الله من الأعراض النفسية والمطالب الدنيوية بين يديه ﷺ، ولكن قدموا ما كان خالصاً لله عز وجل سواء بالنية أو العمل التنفيذى، فإن الأنبياء لما كانوا خلصاء الله فأحبوا أن يقدم بين أيديهم ما كان خالصاً لله وحده سبحانه يقول سبحانه عز وجل واصفاً أرباب هذا المقام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾

أى لاترفعوا أصواتكم – لأى غرض كان – فتجلب لكم الظلمات، فتغزوا ذواتكم نتيجة لسوء أدبكم، وقلة تأدبكم معه ﷺ، فإن الأنبياء هم رسل الله فمن خاطبهم بعلو صوت أو جهر فكأنما جهر للحق نفسه بعلو الصوت وارتفاعه، ولذلك ورد فى الحديث الشريف أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجلسون بين يديه ﷺ وكأنما على رؤوسهم الطير.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾

أى أن السائرين والسالكين فى الطريق الذين يستعجلون ويتلمحون المقامات المستقبلة، والتى أنت واسطتهم فيها عند الله عز وجل – ويستعجلونك فى الوصول إليها – ما نالهم فى هذا سوى سوء الأدب، والحجرات ههنا هى الحجب، فهم ينادونه ﷺ من وراء الحجب، ويطلبونه بأرواحهم وهممهم طلبا للدخول إلى مقامات يطلبونها ويوسطونه ﷺ فى أن يرقيهم إليها.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ۝٥ ﴾

فى الأدب وأكمل لهم فى المعرفة، فإن العارف الحقيقى هو الذى لايطلب منه ﷺ شيئا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة.

يقول سيدى أحمد رضوان ﷺ: وجاء قطب ومضى قطب حتى قدمنى رسول الله ﷺ على سائر أولياء عصرى هذا ليعلم الناس أن الفقير أحمد رضوان هو الذى لم يتقدم وإنما قدمه رسول الله ﷺ.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۝٧ ﴾

لم يمت، بل هو باقٍ منذ نقلته، وإنما غُيِّبَ عن الأبصار، ويراه خواص هذه الأمة، وقد صنعت فى هذا الشأن كتابى الكبير – ثلاث مرات – وهو معجم من رأى رسول الله ﷺ فى النوم واليقظة.

واعلم أيدك الله أن بركاته ملموسة ﷺ وإن لم يكن يراه الكثير من أمته سوى النادر، الذى يعد على الأصابع، فإن آثار بركاته فى الكون غير خافية على مؤمن عاقل موحد، فبه يحفظ الله الوجود، وبه ينبت الزرع، وبه ترفع المحن، وببركاته منع الله الخسف والمسخ والزلازل

عن بلاد المسلمين، وببركاته منعت السيول والفيضانات عن بلاد المسلمين، وببركاته منع الله تفشى الأوبئة الخبيثة فى بلاد المسلمين كالايدز وجنون البقر وانفلونزا الطيور وخلاف ذلك من الأمراض الخبيثة، وببركاته ﷺ لم يصابوا بسلاح نووى يلقى على بلادهم كما ألقى على بلاد اليابان – فإن السلاح النووى هو لعنة الله الكبرى – وهم محفوظون من إلقائه إن شاءَ الله إلى أن تقوم الساعة، وببركاته ﷺ منع الله المجاعات الكبرى فى بلاد المسلمين كما يحدث فى بلاد أفريقيا وغيرها، وببركاته ﷺ ظهر الخير وطفح فى ديار الإسلام وهو البترول.

أقول: ولو استقصينا بركاته ﷺ لما وسعنا المقام، ولما ملأ ذلك الدفاتر الكبار، ولعجز القلم عن كتابة بركاته وآثار أنفاسه فى الكون ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ١١﴾

وفى الحقيقة أن الساخر على الصنعة، ما سخر سوى من الصانع الحقيقى وهو الحق سبحانه، وهذه هى نظرة الأولياء فى الكون.

فشئ ارتضاه الحق سبحانه وصنعه بيده كيف نسخر منه ؟ مهما كان قبحه ومهما كان صغره، ولذلك لما ضحك الصحابة من رجل عبد الله بن مسعود، ماكان من الناظر الربانى وهو - محمد ﷺ – والذى يعطى الحقائق قدرها إلا أن قال: ((**والذى نفسى بيده إن رجله فى الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد**)).

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾

أى لاتلمسوها بسوء، بإدخال ظلام إليها يشغلها ويعوقها عن الوصول إلينا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

الظن هو ما توهمته النفس وتخيلته مما لم يقع من الحوادث، وقد تصيب فيه وقد تخطئ فى تخمينها إياه، ولذلك نهى الحق سبحانه أنفس العارفين أن تقع فيه، وطالبها أن تكون كبيرة ومتعالية على ان تهبط إلى مقام الظنون الفاسدة التى تلوث نقائها.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

فالكريم الحقيقى عند مولاه هو أعظم الناس اتقاء له وخوفاً منه، وههنا نكته عجيبة فى قوله سبحانه ﴿ أَكْرَمَكُمْ ﴾ حيث لم يقل أعلاكم منزلة، فإن صاحب التقوى ليس هو أعلى الخواص منزلة، فهنالك المقربون أعلى منه، وإنما هو مجرد رجل تكرم على نفسه بتقوى الله فوصفه الله بالكرم.

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

فالزانى والقاتل والسارق هو مسلم، وليس بمؤمن لكون الإيمان لو كان فى قلبه وقت ارتكابه المعصية لمنعه من ارتكابها، وهو معنى قوله ﷺ: ((**لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**)) .